المجلة الأردنية للفنون، مجلد 19، عدد2. 2026. 171-185

الرمز في الفن التشكيلي الفلسطيني المعاصر: الدلالات الجمالية بين الهوية والمقاومة

عَبْد الفتاح احْمَد عَلِيّ الْكُمّ، وزارة الثقافة الفلسطينية

Received: 8/11/2025

Acceptance: 26/4/2026

Corresponding Author: montaser.1447@yahoo.com

Cited by: Jordan J. Arts, 19(2) (2026) 171-185

Doi: https://doi.org/10.47016/19.2.2

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة الدلالات والرموز في أعمال الفنانين التشكيليين الفلسطينيين المعاصرين، من خلال تحليل الأبعاد التكوينية والجمالية التي تجسدها الرموز ضمن بنية التكوين الفني. لا تعد الرموز مجرد عناصر بصرية فحسب، بل تشكل لغة بصرية مقاومة بحد ذاتها، وتعبر عن وعي الفنان وثقافته وتجربته الإنسانية، ناقلة رؤيته الفكرية من خلال اللون والخط والشكل والفضاء في حماية موروثة الثقافي، تنبع أهمية هذا البحث من سعيه إلى تفكيك وتحليل الرموز البصرية، لكشف معانيها الكامنة ووظائفها النضالية، واعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تحليل لوحات فنية تميزت بتنوع بصري ودلالي يعكس دور الرموز في التعبير عن الهوية والانتماء وتجسيد القضايا الإنسانية والاجتماعية والسياسية التي يعيشها الفنان، ويقدم منهجا تحليليا يجمع بين الجانبين الشكلي والدلالي، ويسهم في إثراء الدراسات الفنية والنقدية في السياقين الفلسطيني والعربي، ويفيد الفنانين والباحثين ليكون مرجعا لفهم أعمق للرمزية ودورها ودلالتها في تشكيل المعنى البصري في الفنون البصرية، كما تُظهر قدرة الفنان على تحويل المعاناة إلى جمال بصري مرن، يُوثّق الذاكرة الجمعية، ويحفظ الوعي الوطني، ويؤكد أن القضية الفلسطينية؛ وإن كانت سياسية في جوهرها، إلا أنها تمتد إلى آفاق إنسانية وجمالية أوسع، هذا يجعل الفن الفلسطيني مرآةً للهوية، وصوتًا للمقاومة، وسجلا حيًا للنضال المستمر من أجل الحرية والعودة. صوّر الفنانون واقع مقاومتهم، موثّقين فصول النضال الفلسطيني وملاحم البطولة بالألوان والرموز.

الكلمات المفتاحية: الرمز، الدلالة، الهوية الوطنية، المقاومة الثقافية، التعبير البصري

Symbolism in Contemporary Palestinian Visual Art: Aesthetic Significations between Identity and Resistance

Abdel Fattah A. A. Al-Kum, Palestinian Ministry of Culture

Abstract

This study aims to examine the symbols and significations embedded in the works of contemporary Palestinian visual artists through an analysis of the compositional and aesthetic dimensions embodied within artistic formations. Symbols are not merely visual elements, but rather constitute a resistant visual language in themselves, expressing the artist's consciousness, culture, and human experience. Through color, line, form, and spatial construction, these symbols convey the artist's intellectual vision while preserving cultural heritage. The significance of this research lies in its attempt to deconstruct and analyze visual symbols in order to uncover their underlying meanings and their resistant and militant functions. The study adopts a descriptive-analytical approach through the analysis of selected artworks distinguished by visual and semantic diversity, reflecting the role of symbolism in expressing identity and belonging, as well as embodying the humanitarian, social, and political issues experienced by the artist. The research presents an analytical framework that combines formal and semantic dimensions and contributes to enriching artistic and critical studies within both Palestinian and Arab contexts. It also serves as a reference for artists and researchers seeking a deeper understanding of symbolism, its functions, and its significance in shaping visual meaning in the visual arts. Furthermore, the study demonstrates the artist's ability to transform suffering into a flexible visual aesthetic that documents collective memory, preserves national consciousness, and affirms that the Palestinian cause, although political in essence, extends toward broader humanitarian and aesthetic horizons. Palestinian art thus becomes a mirror of identity, a voice of resistance, and a living record of the ongoing struggle for freedom and return.

© 2026- جميع الحقوق محفوظة للمجلة الأردنية للفنون

Palestinian artists have portrayed the reality of resistance, documenting chapters of the Palestinian struggle and epics of heroism through colors and symbols.

Keywords: Symbolism, Signification, National Identity, Cultural Resistance, Visual Expression.

أولا: المقدمة

يحمل الفن الفلسطيني قيماً جمالية تمثل في حقيقتها لغة وطنية أصيلة، يعبر عنها الفنان بأسلوبه الفني المستمد من الإطار الثقافي الذي يتحرك ويعيش فيه ضمن منطقته والجغرافيا التي يرتحل فيها، لذا، يعد الفن الفلسطيني وسيلة مهمة لتجسيد أفكار الفنانين وخيالاتهم، وهو منسجم مع منطقهم في حرية التعبير، المستمد من تقاليدهم ومعتقداتهم وثقافتهم العريقة، وتشكل الفنون جزءاً من الحياة اليومية للناس، معبرة عن الفكر الجماعي بصدق وعفوية، وتؤكد هذه الفنون على الرابطة الأصيلة بين البشر من خلال وحدة التعبير ووحدة الشكل، فالفن الفلسطيني فن مكتسب ومتوارث منذ النكبة والنكسة والانتفاضات والهبات الشعبية حتى يومنا هذا، وهو فن مستمد من العادات والتقاليد والأساطير البيئية النابعة من روح الجماعة.

الفن الفلسطيني يتميز بخصائص رمزية، إذ يستخدم الفنانون الأشكال للتعبير عن معتقداتهم وقيمهم، ويجسد الروح الجماعية للشعب الفلسطيني محافظا على هويته الثقافية ومقاوما لمحاولات المحو والتشويه، وقد رصد الباحث ان عددا من الفنانين الفلسطينيين أمثال الفنان سليمان منصور، وإسماعيل شموط، وتمام الأكحل، وطالب دويك، وشهاب القواسمي، والقائمة طويلة، استطاع هؤلاء الفنانون ومن خلال أعمالهم الفنية التي تركز على الهوية الفلسطينية والأرض وصمود الشعب الفلسطيني نقل المعاناة لتكون رسالة إلى العالم عن الظلم الذي يمارسه الاحتلال الإسرائيلي على أبناء شعبنا، كما استطاع الفنان في الأسر أن يوثق حياته داخل السجون والزنازين بطريقته، وتمثلت الأبعاد الرمزية في اللوحات بأنواع متعددة من الرموز منها: الأسير، والسجان، والقضبان، والأغلال، وشبابيك السجن، والإضرابات عن الطعام، والشباك، وغيرها من الرموز (جمعة، 2018).

الرمز بمصادره المتعددة المستمدة من الطبيعة أو التراث أو الخيال، أساسًا من أسس بقاء المجتمعات واستمرارها، إذ يشكّل لغة إيحائية قادرة على فتح آفاق الخيال وتوسيعه، بما يتيح للإنسان تجاوز المظهر الشكلي للأشياء والوصول إلى جوهرها الكامن واستبصار حقيقتها العميقة. كما يُعدّ الرمز وسيلة لفهم الأحداث والعلاقات المتبادلة بين ما هو داخلي في الإنسان وما هو خارجي في محيطه، فضلا عن كونه أداة للتواصل الاجتماعي بين الأفراد ضمن المنظومة الثقافية والاجتماعية للمجتمع (البسيوني، 1994).

تُعدّ الفنون البصرية الفلسطينية زاخرةً بمعانٍ رمزية ومفاهيمية عميقة تعكس قيم الشعب الفلسطيني وهويته الوطنية والثقافية، وهي نتاج طبيعي للإبداع والابتكار؛ في هذا الفن، لا تُعدّ الرمزية مجرد عنصر جمالي، بل جزء من تاريخ الشعب الفلسطيني وتراثه ووعيه الجماعي، فهي متداخلة مع حياته اليومية وممارساته المهنية والثقافية والدينية، وترتبط الرمزية في الفنون البصرية الفلسطينية المعاصرة ارتباطًا مباشراً بالواقع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني، وتتفاعل مع نضالاته عبر قنوات التعبير المتاحة لمقاومة الاحتلال، وقد تصدّر الفنانون التشكيليون الفلسطينيون طليعة الدفاع عن الحقوق الوطنية والسياسية لشعبهم، محوّلين فنهم إلى وسيلة نضالية؛ بالتوثيق بأساليب فنية وتعبيرية متنوعة عن معاناتهم وتطلعاته نحو الحرية، وهكذا، حيث تتكامل عناصر الخط واللون والتكوين لتُشكّل رسالة جمالية وإنسانية وثقافية، وفي هذا الإطار، يؤكد (Carl Gustav Jung) أن الرمز يتجاوز الإدراك المباشر ليحمل أبعاداً نفسية وروحية عميقة (منصور، 1985).

تراوحت الرموز البصرية الفلسطينية بين تلك المستمدة من التراث والفولكلور، كالكوفية وأشجار الزيتون والمفاتيح والملابس التقليدية والهلال والأحجار والأسماك والطيور والنقوش الزخرفية والهندسية، ورموز سياسية كالبندقية والفدائيين والشمس والقمر، حيث صيغت هذه الرموز بصرياً ضمن تركيبات لونية متناغمة جمعت بين الألوان الأساسية (الأحمر والأزرق والأصفر) ودرجاتها، بالإضافة إلى الأسود والأبيض، لتشكل

بانوراما لونية تُعبّر عن الوطن والنضال والهوية، فاللون الأحمر يرمز إلى الثورة والتضحية، والأخضر للحياة والخصوبة والوفرة، والأزرق للحرية والارتقاء الروحي، بينما يُمثل الأسود والأبيض ثنائية الوجود والمصير.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في دراسة كيفية توظيف الفنانين التشكيليين الفلسطينيين للرمز في أعمالهم الفنية باعتباره وسيلة للتعبير عن الهوية الوطنية وتجسيد الوعي الجمعي للشعب الفلسطيني، وتنبع المشكلة من الحاجة إلى فهم الدور الذي تؤديه الرموز البصرية التقليدية منها والمعاصرة، في الحفاظ على الهوية الثقافية الفلسطينية وإعادة صياغتها في ظل الظروف السياسية والاجتماعية المتغيرة.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

1. تحليل دور الرموز البصرية في الفن التشكيلي الفلسطيني بوصفها أداة تعبير عن الهوية الوطنية والثقافية.
2. الكشف عن آليات توظيف الرموز التراثية والوطنية والمعاصرة داخل التكوين الفني الفلسطيني.
3. دراسة الدور الذي تؤديه الرموز في حفظ الذاكرة الجماعية الفلسطينية ونقل التجربة التاريخية المشتركة.
4. إبراز العلاقة بين الواقع السياسي والاجتماعي للفلسطينيين وتشكّل الرموز في الأعمال الفنية.
5. تقييم أهمية الرموز البصرية في مقاومة محاولات طمس الهوية الثقافية الفلسطينية.

فرضية وأسئلة البحث:

ينطلق البحث من فرضية مفادها أن الرموز البصرية في الفن التشكيلي الفلسطيني تشكّل لغة تعبيرية بديلة، يلجأ إليها الفنان للتعبير عن القضايا الوطنية والإنسانية التي يصعب الإفصاح عنها بشكل مباشر، وتُسهم هذه الرموز في ترسيخ الهوية الثقافية الفلسطينية، وتعزيز الوعي جمعيًا، ومقاومة محاولات التهميش والطمس الثقافي، ويسعى البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما أبرز الرموز البصرية المستخدمة في أعمال الفنانين التشكيليين الفلسطينيين، وما دلالاتها؟
2. كيف يتم توظيف اللون والخط والشكل بوصفها عناصر رمزية داخل التكوين الفني؟
3. ما العلاقة بين الواقع السياسي الفلسطيني وتشكّل الرموز في الفن التشكيلي؟
4. كيف يُسهم توظيف الرموز في الحفاظ على الهوية الثقافية والذاكرة الجماعية الفلسطينية؟

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من سعيه إلى تحليل الدلالات الرمزية في أعمال الفنانين التشكيليين الفلسطينيين بوصفها مدخلا لفهم أعمق لخطابهم البصري والفكري، والكشف عن آليات توظيف الرمز كأداة فنية للتعبير عن القضايا الوطنية والإنسانية، كما يسلّط الضوء على دور الفن التشكيلي في تنمية الوعي وتعزيزه بوصفه أداة ثقافية مقاومة في مواجهة سياسات الاحتلال ومحاولات طمس الهوية.

حدود البحث:

تتحدد بالعينة المختارة، وبتحليل لوحات لخمسة فنانين معاصرين تم استخدام الرموز في لوحاتهم.

منهجية البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي القائم على تحليل المضمون، من خلال تتبّع الظواهر الفنية المرتبطة بالرمزية في الفنون البصرية الفلسطينية، وقد تم ذلك عبر مراحل منهجية شملت: تحديد الإطار النظري، وجمع المادة العلمية من المصادر والمراجع المتخصصة، ثم اختيار عيّنة من الأعمال الفنية التي تتجلّى فيها الرموز بشكل واضح، وتحليلها وفق معايير جمالية ودلالية، كما استند البحث إلى مراجعة عدد من الكتب والأبحاث ذات الصلة بموضوع الرمزية والفنون البصرية، بما يعزّز الإطار التحليلي ويدعم تفسير النتائج.

مبررات البحث:

يوجد العديد من الأعمال الفنية واللوحات التشكيلية التي لم يتم تحليلها وخصوصا التي تحمل الرموز منها، وتوثيق هذه اللوحات من خلال الدراسات التي من الممكن أن تسلط الضوء عليها، وفقر المكتبة العربية بشكل عام والفلسطينية بشكل خاص لهذه الدراسات.

عينة البحث:

اعتمد البحث على عينة قصدية من الأعمال الفنية الفلسطينية التي توظف الرموز الوطنية والثقافية بشكل واضح، مَثلت البعد الرمزي في الخطاب البصري الفلسطيني، وشملت العينة أعمالا لفنانين فلسطينيين معاصرين، مثل سليمان منصور وإسماعيل شموط وتمام الأكحل وشهاب القواسمي وطالب دويك، حيث تبرز الرمزية في التعبير عن الهوية، والذاكرة الجمعية، وتجربة النكبة والمقاومة. وركّز اختيار الأعمال على وضوح الرمز وقدرتها على تجسيد التحول من البعد الجمالي إلى البعد التوثيقي المقاوم، مع إمكانية ربطها بالسياق التاريخي والسياسي للإنتاج الفني، وتحليلها باستخدام المنهج الوصفي التحليلي.

مصطلحات البحث:

الدلالة: تُعرَّف الدلالة بأنها العلاقة التي تربط بين شيءٍ وآخر، بحيث يؤدي إدراك الأول (الدال) إلى فهم الثاني (المدلول)، وقد أشار الجرجاني إلى هذا المفهوم بوصفه حالة معرفية يستتبع فيها العلم بشيءٍ ما آخر مرتبط به، وتنتقل الدلالة من معناها العام إلى معنى أكثر تخصصاً عندما ترتبط بالرموز، حيث تصبح أداة تفسيرية تُحيل إلى معانٍ تتجاوز ظاهرها المباشر (حيدر،2005).

الرمز: يُعرَّف الرمز بأنه علامة أو إشارة قد تتخذ شكل صورة أو كلمة أو نغمة، تحمل دلالة متعارفاً عليها ضمن التجربة الإنسانية المتوارثة. ويُعدّ في الوقت ذاته وسيلة تعبيرية يلجأ إليها الإنسان لتجسيد أفكاره المجردة ومعانيه الروحية التي يصعب تمثيلها بشكل مباشر. وفي هذا الإطار، يرى (هيغل) أن الرمز يمثل أداة ذهنية وفنية تُستخدم للتعبير عن المضامين العميقة وغير المرئية، بما يمنحه بعداً دلالياً يتجاوز مظهره الخارجي إلى آفاق تأويلية أوسع (ساجت، 2022)؛ (علوش، 1985).

الهوية الوطنية: تشير الهوية الوطنية إلى مجموعة السمات والخصائص المشتركة التي تميز شعباً أو أمة عن غيرها، وتشمل القيم الثقافية والتاريخية والاجتماعية التي تشكّل جوهر وجودها وتعبّر عن خصوصيتها. وهي إطار جامع يعزز الشعور بالانتماء، ويجسّد الشخصية الجمعية للأفراد داخل المجتمع (المالكي، 2015).

المقاومة الثقافية: تُعرَّف المقاومة الثقافية بوصفها نمطاً من أنماط النضال غير المادي، الذي يوظّف الوسائط الثقافية والفنية للحفاظ على الهوية الوطنية وصون الذاكرة الجمعية، في مواجهة سياسات الطمس والإقصاء التي تمارسها قوى الاستعمار أو الاحتلال. وتتمثل هذه المقاومة في توظيف الأدب والفنون بمختلف أشكالها، إضافة إلى التعليم واللغة والتراث الشعبي، بوصفها أدوات تعبيرية تعكس الرفض وتؤكد التمسك بالهوية والانتماء. وبذلك، تشكّل المقاومة الثقافية فضاءً فاعلاً لإنتاج الوعي وتعزيز الاستمرارية الحضارية في مواجهة محاولات الاستلاب والتفكيك (صالحي، 2018).

الفنون البصرية: تُعرَّف الفنون البصرية بأنها مجموعة من الفنون التي تُعنى بإنتاج أعمال فنية وإبداعية تعتمد في تكوينها وتلقيها على حاسة البصر بوصفها الوسيلة الأساسية للإدراك والتذوق. وتشمل هذه الفنون مختلف الوسائط والتقنيات التي تُنتج صوراً مرئية، بحيث يكون التفاعل معها قائماً على الرؤية والمشاهدة، مما يجعلها مجالاً تعبيرياً بصرياً يرتكز على الإدراك الحسي البصري في عملية الفهم والتأويل (عبد الحي، 2018).

الدراسات السابقة:

دراسة (نصر، 2024)، بعنوان (الدلالات الرمزية في عناصر التراث والهوية الفلسطينية، (دراسة

سيميولوجية لمختارات من أعمال الفنان علاء اللقطة)). تناول الباحث دور الفن التشكيلي في تجسيد الهوية والمقاومة الثقافية الفلسطينية من خلال دراسة تحليلية لأعمال الفنان إسماعيل شموط، الذي استخدم فنه لتوثيق حياة الفلسطينيين تحت الاحتلال ونضالهم من أجل الحرية والحفاظ على الهوية الوطنية. يسلط البحث الضوء على العلاقة بين الفن والسياسة، وكيفية توظيف الرموز والألوان والمفردات البصرية في أعمال شموط للتعبير عن الصمود واللجوء والحنين والأمل بالعودة، بوصفها عناصر محورية في الوعي الجمعي الفلسطيني وتتمثل المشكلة في فهم آليات تأثير الفن على تشكيل الهوية الوطنية ودوره كوسيلة فعالة في النضال والمقاومة الثقافية، كما تنبع أهمية البحث من إبراز الفن التشكيلي كأداة مقاومة في مواجهة الاحتلال، وليس مجرد وسيلة للتعبير الجمالي، ويسلط الضوء على تجربة إسماعيل شموط بوصفه أحد أهم رموز الفن الفلسطيني الذي وثق الذاكرة الجماعية الفلسطينية ويسهم في فهم العلاقة بين الفن والهوية، ويوضح كيف يمكن للفن أن يعزز الانتماء الوطني ويحافظ على التراث الثقافي، ويعمق الوعي الأكاديمي بدور الثقافة والفنون في النضال السياسي والاجتماعي.

وهدف البحث إلى تحليل الرموز والدلالات التي استخدمها إسماعيل شموط في أعماله لتجسيد الهوية الفلسطينية، ودراسة العلاقة بين الفن والسياسة ودور الفنون البصرية في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، وإبراز الفن كوسيلة للنضال الشعبي وحفظ الذاكرة الفلسطينية من الاندثار، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي. ترتبط هذه الأبحاث بالبحث الحالي من حيث اهتمامها بتحليل الرموز البصرية ودورها في التعبير عن الهوية والمقاومة في الفن التشكيلي الفلسطيني، ويستفيد البحث الحالي من الإطار التحليلي الذي قدمته دراسة أعمال إسماعيل شموط، لا سيما في فهم توظيف الرمز بوصفه أداة لبناء المعنى والذاكرة الجماعية، غير أنها تسعى إلى توسيع نطاق التحليل ليشمل تجارب فنية فلسطينية أخرى، ومقارنة تنوع المعالجات الرمزية في سياقات زمنية وثقافية مختلفة، بما يعمق فهم البعد الجمالي والفكري للرمز في الفن الفلسطيني المعاصر (نصر، 2024).

دراسة (جمعة، 2018)، بعنوان (الأبعاد الرمزية للسجن في الفن التشكيلي الفلسطيني المعاصر). تتمثل مشكلة البحث في تجليات السجن ورموزه في الفن التشكيلي الفلسطيني، وفي التساؤل كيف تجسدت رمزية السجن في الفن التشكيلي الفلسطيني، وما الأبعاد الدلالية التي حملتها الرموز البصرية المستخدمة لتصوير تجربة الأسر والمعاناة تحت الاحتلال؟

تكمن أهمية هذا البحث في سد فجوة معرفية في الدراسات الفنية الفلسطينية من خلال معالجة موضوع السجن بوصفه فضاء رمزيا وجماليا في التشكيل الفلسطيني، وإبراز دور الفن التشكيلي كوسيلة توثيق ومقاومة تعبر عن تجربة الأسرى وتعيد صياغة معاناتهم بلغة بصرية مبدعة، وهدف البحث إلى تحليل الرموز البصرية التي تعبر عن السجن في الفن التشكيلي الفلسطيني، واعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي القائم على تحليل المحتوى، كما تناول البحث تجارب خمسة فنانين فلسطينيين مروا بتجربة الأسر، وتم تحليل أعمالهم. في ضوء السياق الوطني والسياسي لفترة النكسة وما بعدها، ومقارنة النتائج للكشف عن القواسم المشتركة في التعبير التشكيلي عن تجربة السجن، ترتبط هذه الأبحاث بالبحث الحالي من حيث تناولها للرمز بوصفه أداة تعبير مركزية في الفن التشكيلي الفلسطيني، واهتمامها بتحليل الأبعاد الدلالية للرموز البصرية المرتبطة بتجربة القمع والاحتلال. ويستفيد البحث الحالي من نتائجها التحليلية في فهم كيفية تشكّل الرمز داخل العمل الفني الفلسطيني، غير أنها تسعى إلى توسيع إطار التحليل ليشمل أبعادًا جمالية ورمزية أعمق، وربطها بالهوية الثقافية والذاكرة الجمعية في سياق الفن الفلسطيني المعاصر (جمعة، 2018).

دراسة (نوبي، 2024)، بعنوان (الأبعاد الفكرية للفلسفة الرمزية وجماليات الرمز). يعد الرمز أحد أهم العناصر التعبيرية في الفن التشكيلي، إذ يمثل مدركا حسيا يحل محل فكرة أو معنى عبر الإيحاء لا المطابقة، ويتجاوز دلالته الفردية ليصبح وسيلة للتواصل الثقافي والاجتماعي بين الأفراد، وتتباين الرموز في معانيها

باختلاف الثقافات والمجتمعات، مما يجعلها مرآة للهوية ومؤشرا على الوعي الجمعي، وفي السياق الفني، تكتسب الرمزية أهمية خاصة بوصفها أداة جمالية وفكرية تعبر عن القيم والمعتقدات، وتمنح العمل الفني عمقا ودلالات تتجاوز الشكل المرئي، وتتمثل مشكلة البحث في التساؤل كيف تسهم الرمزية في إثراء العمل الفني التشكيلي، وما علاقتها بالثقافة البصرية والهوية الفكرية للمجتمع؟

حيث تنبع أهمية البحث من تسليط الضوء على مفهوم الرمزية ودورها في بناء المعنى داخل العمل الفني، فيما يسهم في فهم البعد الجمالي والفكري للرمز بوصفه وسيلة للتعبير عن الهوية والانتماء الاجتماعي والثقافي، ويهدف إلى تحليل مفهوم الرمز والرمزية ودورهما في تكوين المعنى الفني، واستكشاف العلاقة بين الفنان والمتلقي عبر الوسيط الرمزي في التشكيل البصري، يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي من خلال دراسة المفاهيم النظرية للرمز والرمزية، وتحليل مجموعة مختارة من الأعمال الفنية التي تجسد الرموز البصرية، للكشف عن دلالاتها الفكرية والجمالية وعلاقتها بالمتلقي والثقافة المحيطة، وتتفق دراسة النوبي مع البحث الحالي في تناولهما لمفهوم الرمزية ودورها في بناء المعنى داخل العمل الفني التشكيلي، كما تشترك معه في التأكيد على العلاقة بين الرمز والهوية والثقافة البصرية. ويستفيد البحث الحالي من الإطار النظري والتحليلي مع توظيفه في سياق فني وثقافي أكثر تخصصًا، بما يسهم في تعميق تحليل الرموز ودلالاتها الجمالية والفكرية في الأعمال الفنية محل البحث (نوبي، 368).

مناقشة الدراسات السابقة:

تتقاطع الدراسات السابقة في تأكيدها على مركزية الرمز بوصفه أداة تعبيرية أساسية في الفن التشكيلي، ودوره في بناء المعنى الجمالي والفكري، خاصة في السياق الفلسطيني المرتبط بالهوية والمقاومة، فقد ركّزت دراسة إسماعيل شموط (علي، 2024) على تحليل الدلالات الرمزية في أعمال فنان بعينه، مبيّنةً كيف يُسهم الرمز في توثيق الذاكرة الجمعية وتعزيز الانتماء الوطني، مع إبراز العلاقة الوثيقة بين الفن والسياسة.

كما التقت معها دراسة (جمعة، 2018) في تناول الرمز بوصفه أداة تعبيرية عن المعاناة، لكنها خصّصت موضوعها في رمزية السجن، مركّزةً على تجربة الأسرى وما تحمله من أبعاد دلالية مرتبطة بالقمع والاحتلال، وهو ما يضيق من نطاقها الموضوعي مقارنة بغيرها من الدراسات.

في حين جاءت دراسة (نوبي، 2024) ذات طابع نظري فلسفي، حيث تناولت مفهوم الرمزية وجمالياتها في الفن بشكل عام، وركّزت على العلاقة بين الرمز والمعنى والهوية ضمن إطار فكري وثقافي واسع، دون الارتباط بسياق فلسطيني محدد.

وعليه، يمكن ملاحظة أن أوجه الشبه بين هذه الدراسات تتمثل في اعتمادها المنهج الوصفي- التحليلي، واهتمامها بتحليل الرمز بوصفه حاملاً للمعنى، وارتباطه بالهوية والثقافة. أما أوجه الاختلاف، فتتجلى في تنوّع مجالات التركيز؛ إذ انحصرت بعض الدراسات في تجربة فنان محدد، أو موضوع رمزي خاص (كالسجن)، أو إطار نظري عام، دون تقديم معالجة شمولية تجمع بين البعد الجمالي والرمزي في سياق الفن التشكيلي الفلسطيني المعاصر.

ومن هنا، تتميّز الدراسة الحالية بسعيها إلى سد فجوة بحثية واضحة، تتمثل في تقديم قراءة تحليلية شمولية للرمزية في الفنون البصرية الفلسطينية، لا تقتصر على نموذج فني واحد أو موضوع محدد، بل تتناول تنوّع الرموز ودلالاتها الجمالية والفكرية، وربطها بالهوية الوطنية والذاكرة الجمعية ضمن سياقها التاريخي والسياسي. وبذلك، تضيف هذه الدراسة بُعداً تكاملياً يجمع بين التحليل الجمالي والدلالي، ويُعمّق فهم الخطاب البصري الفلسطيني بوصفه خطاباً جمالياً ومقاوماً في آنٍ واحد.

المحور الأول:

الرمز في الفن البصري الفلسطيني

شهدت الرموز في الفن التشكيلي الفلسطيني تحوّلا دلاليًا ووظيفيًا واضحًا، إذ انتقلت من حضورها الجمالي المرتبط بالتراث إلى دور توثيقي مقاوم، خاصة بعد نكبة عام 1948 التي شكّلت نقطة تحول في

مسار التعبير الفني. ففي المراحل الأولى، استُخدمت رموز مثل الكوفية وشجرة الزيتون والمفتاح ضمن سياق ثقافي يعكس الهوية والانتماء دون أبعاد سياسية مباشرة (Zoghi, 2020) إلا أنها لاحقًا أصبحت أدوات بصرية تعبّر عن الذاكرة الجماعية والنضال وحق العودة.

وفي هذا السياق، يبرز التمييز بين الرمزية بوصفها منهجًا فنّيًا قائمًا على تكثيف المعنى وتنظيمه، والرمز باعتباره وحدة بصرية تحمل دلالات ثقافية وسياسية وروحية. وقد أتاح هذا التوظيف للفنان الفلسطيني التعبير غير المباشر عن القضايا الوطنية، من خلال رموز مثل المفتاح وقبة الصخرة والزخارف الشعبية، التي أسهمت في ترسيخ الهوية وتعزيز الوعي الجمعي في مواجهة محاولات الطمس (Balata, 2009).

يمثّل الفن التشكيلي لغة بصرية تعبّر عن رؤية الفنان المستمدة من بيئته وثقافته، حيث تتجسد القيم الجمالية عبر اللون والحركة والتكوين، ناقلةً أفكاراً ومضامين تنبع من الموروث الاجتماعي والثقافي. وفي الحالة الفلسطينية، يحتل الرمز موقعًا مركزياً في بناء الخطاب الفني، إذ ارتبط بالتجربة التاريخية والواقع المعيش تحت الاحتلال، مما أضفى على الإنتاج الفني بعداً كفاحيًا يعكس الهوية والانتماء (المناصرة، 1983).

وقد طوّر الفنانون الفلسطينيون أساليبهم الخاصة في توظيف الرموز، مستلهمين مفرداتهم من البيئة والتراث، ومضيفين عليها معالجات جمالية وتعبيرية متنوعة، ما أتاح ظهور منظومات رمزية فردية تعكس وعي الفنان وثقافته. كما تأثرت هذه المعالجات بالتصورات الفكرية والجمالية التي تناولها الفلاسفة والمفكرون، إضافة إلى توظيف الأشكال الهندسية الأساسية في الفنون الزخرفية والتصميمية، بما أتاح تنويع التكوينات البصرية وإغناء دلالاتها (البسيوني، 1994).

وتعكس الفنون الفلسطينية ارتباطًا وثيقًا بالحياة اليومية والذاكرة الجمعية، حيث تُجسّد الهوية الثقافية المتوارثة عبر الأجيال، وتستمد عناصرها من العادات والتقاليد والأساطير الشعبية. وفي هذا الإطار، تتجاوز الرمزية حدود الزمان والمكان، إذ يختلف إدراكها تبعًا للثقافات، وتشكل منظومة دلالية تعبّر عن وعي المجتمع وتوحد رؤاه. كما تنشأ علاقة تفاعلية بين الفنان والمتلقي والرسالة الفنية، تُبرز الأبعاد الفكرية والجمالية للعمل (زوارغي، 2019).

وتؤدي الرمزية دوراً اجتماعياً وثقافياً بارزاً، إذ تُعد لغة بصرية قادرة على نقل المعنى وتعزيز الانتماء دون الحاجة إلى التعبير اللفظي، كما تُمكّن الفنان من تحويل الأفكار إلى صيغ تشكيلية متكاملة تعبّر عن رؤيته الجمالية (بهنسي، 1997)، ويُضفي توظيف الرمز على العمل الفني عمقًا فكريًا، حيث يُخفي الفنان خلف الشكل الظاهر معاني إيحائية تستدعي التأمل والتأويل (عبد الرحمن، 1993).

وعليه، فإن الرمزية في الفن التشكيلي الفلسطيني تمثل بنية دلالية مركّبة، تتجاوز البعد الحسي إلى أبعاد فلسفية وروحية، وتعكس تجربة إنسانية وتاريخية غنية، مما يجعل قراءتها تتطلب وعياً نقدياً قادراً على تفكيك مستوياتها الجمالية والفكرية.

أمثلة على الرموز في الفن التشكيلي الفلسطيني:

1. شجرة الزيتون: تعد شجرة الزيتون رمزا محوريا في الفن الفلسطيني، تمثل السلام والصمود والاستمرارية، كما أنها رمز للأرض وجذور الفلسطينيين العميقة في وطنهم.
2. المفتاح: يمثل المفتاح حق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم التي هجروا منها عام 1948، وهو رمز للأمل والتمسك بالحقوق التاريخية.
3. الكوفية الفلسطينية: أصبحت الكوفية، وهي وشاح تقليدي، رمزا للمقاومة والوحدة الوطنية، وتستخدم في العديد من الأعمال الفنية كرمز للهوية الفلسطينية
4. المرأة الفلسطينية: غالبا ما تصور المرأة الفلسطينية في الفنون التشكيلية كرمز للأرض والوطن، يعبر تصويرها عن القوة والصمود والخصوبة، مما يعكس العلاقة الوثيقة بين الأرض والشعب.

5. البيت الفلسطيني التقليدي: يمثل البيت الفلسطيني رمزا للانتماء والشوق إلى الوطن، في خضم الشتات، يعد المنزل رمزا للذاكرة الجماعية ومكانا لا يزال حيا في ذاكرة الفلسطينيين.
6. الجدار والبوابات: تمثل هذه الرموز جدار الفصل والبوابات المغلقة، مما يعكس القيود والحصار والاحتلال، إنها رموز للنضال والمعاناة اليومية للفلسطينيين.

المحور الثاني: اعمال الفنانين الفلسطينيين

تتسم الأعمال الفنية بطابع رمزي يعكس عناصر التراث الشعبي، مما يستدعي توثيقها ونقلها لضمان استمراريتها عبر الأجيال. وترتبط الفنون ارتباطاً جوهرياً بالثقافة الشعبية، إذ شكّلت منذ بداياتها وسيلة لتوثيق الحياة الإنسانية، كما يظهر في رسوم الكهوف التي عبّرت عن واقع الإنسان الأول بأسلوب عفوي قريب من التجريد، ويؤكد ذلك الدور الاجتماعي للفن بوصفه أداة لفهم الثقافات وتوثيق أنماط الحياة، حيث يتجاوز البعد الجمالي ليغدو مرآة تعكس الواقع ونافذة لقراءة التحولات الاجتماعية والثقافية. وبذلك، يظل الفن مجالاً حيوياً يجسّد التفاعل العميق بين الإبداع والهوية الثقافية (منصور،2023).

وتزخر أعمال الفنانين الفلسطينيين بالرموز والتراث الفلسطيني والحياة اليومية والمواسم والقرية التي يعيش فيها أو يتذكر ملامحها، تلك الأعمال التي استطاع أن ينسج من مخيلته صورة خلال فترة عاشها أو سمع عنها من الآباء والأجداد، لكي تخرج للعالم رسالة عن المعاناة التي يعيشها الفلسطيني تحت وطأة الاحتلال، كما وثق الأحداث بالريشة والألوان ليضع القضية الفلسطينية في قلب تحولات الحياة الحديثة، من هنا تم اختيار خمسة أعمال فنية لخمسة فنانين فلسطينيين.

1. الفنان سليمان منصور[1]

يعد من أبرز الشخصيات الفنية التي ساهمت في إعادة صياغة القضية الفلسطينية فنيا يجب توخي الدقة في الوصف والتعبير من خلال دمج الرموز التقليدية والمعاصرة في أعماله الفنية. في تصريحاته، يوضح منصور أهمية البحث عن صور تعكس الهوية الفلسطينية، مما يتطلب العودة إلى الثقافة القديمة واستحضار مناظر فلسطين التاريخية في لوحاته، هذه العملية ليست مجرد إبداع فني، بل هي أيضا وسيلة للحفاظ على الهوية الفلسطينية وتأكيدها في وجه التحديات. تعتبر أعمال سليمان منصور مثالا حيا على كيفية استخدام الفن كوسيلة للتعبير عن الهوية والذاكرة الجماعية، حيث تتداخل العناصر التقليدية مع الرموز الحديثة لتجسد قصة الشعب الفلسطيني ونضاله من أجل الحفاظ على تراثه وثقافته.

تُعد لوحة (البيّارة)، التي أنجزها الفنان الفلسطيني سليمان منصور عام 1984، عملاً محورياً في الفن التشكيلي الفلسطيني، يجمع بين الواقعية الاجتماعية والرمزية العميقة، تميزت البنية التركيبية والتكوين للوحة بتكوين متوازن وهادئ، يتمركز حول شخصيتي امرأتين تحملان سلال البرتقال على رأسيهما بشموخ، كما اعتمد منصور على بنية هندسية واضحة؛ فالشخصيات ترسم بخطوط عمودية تؤكد على الثبات والصمود، بينما تُحيط بالإطار لوحات مصغرة مربعة الشكل، تعمل كإطار داخل إطار، هذا التكوين المربع المتكرر يُضفي إحساساً بالوفرة التي لا تنتهي، ويستدعي الزخارف الهندسية المستوحاة من الفن الإسلامي والشعبي، ومن خلال المعالجة اللونية والخامات استخدم الفنان تقنية الألوان الزيتية على قماش، وتغلب على اللوحة الألوان الترابية والدافئة التي تعكس ارتباطاً مادياً وروحياً بالأرض، واللون الأخضر والبني يهيمنان على الخلفية والأرضية، ويرمزان إلى خصوبة الأرض الفلسطينية وجذورها الراسخة، واللون البرتقالي لون الثمار الذي يرمز إلى يافا والوفرة والحياة، ويخلق نقطة تركيز بصرية دافئة، واستخدم الألوان الزاهية كما في التطريز الغني للأثواب التقليدية، وتعكس الألوان (الأحمر، والأزرق، والأرجواني) حيوية التراث الشعبي وتعددية الهوية البصرية.

تُستخدم الرمزية والدلالات السيميائية فتتجاوز اللوحة التوثيق الواقعي لغرض تعبيري عميق، فالمرأة هي الأيقونة الأساسية في رمزيتها للقداسة والأمومة، وتمثل الأرض ورمز الصمود الذي يحمل الإرث على رأسه بكل كرامة، والبرتقال ليس مجرد فاكهة، بل رمز سياسي لمدينة يافا وازدهار الزراعة الفلسطينية قبل النكبة،

وهو يحمل دلالات الأمل والعودة للأجيال القادمة، والثوب المطرز يمثل الهوية البصرية والتراث الشعبي الذي يقاوم محاولات الطمس الإسرائيلية. تأتي اللوحة في سياق (الواقعية النضالية) التي ميزت فن سليمان منصور، الذي هُجر من اللد عام 1948. اللوحة هي رد فني على محو الذاكرة، حيث يعيد الفنان تشكيل جنته المفقودة برؤية مستقبلية، الرسالة الأساسية هي التأكيد على البقاء، والصمود، والارتباط الأبدي بالأرض الفلسطينية وتراثها، مما يجعل العمل (وثيقة ملكية) بصرية كما تظهر باللوحة رقم (1).

لوحة رقم (1): سليمان منصور، البيارة، زيت على قماش،98/ 129 سم،1984.

2. الفنان إسماعيل شموط[2]

تعد لوحة (أحلام الغد)، (2000) للفنان الفلسطيني إسماعيل شموط من أعظم وأهم أعماله الفنية التي تجسد الحلم الجماعي للشعب الفلسطيني، وتعبر عن نضاله وصموده في وجه التهجير والمعاناة، واللوحة تفيض بالعاطفة والانتماء، وتجمع بين الواقعية والرمزية بأسلوب درامي تعبيري. استطاع إسماعيل شموط من خلال اللون والتشكيل والرمز أن يصور القضية الفلسطينية بملحمة إنسانية مليئة بالأمل والكرامة والجمال. رسم الفنان في هذه اللوحة امرأة فلسطينية ضخمة الحجم تمتد على كامل مساحة اللوحة، يشكل جسدها خريطة فلسطين، وترتدي ثوبا أبيض مطرزا بالأحمر يرمز إلى الهوية والتراث والعطاء، في يدها اليمنى تحمل حمامتي سلام رمزا للأمل، وفي يدها الأخرى ترفع راية المقاومة والعلم الفلسطيني في دلالة على النضال والثبات، يحيط بها رجال ونساء وأطفال يمثلون أبناء الوطن، فيما يظهر الأطفال في المقدمة يقطفون الزهور في إشارة إلى استمرار الحياة وتجدد الأمل.

استخدم شموط من الناحية التشكيلية أسلوبا تعبيريا واقعيا يجمع بين الإنسان والطبيعة في تكوين ديناميكي مائل يوحي بالحركة والحياة، اعتمد الخطوط المنحنية الناعمة التي تمنح إحساسا بالحنان والاحتواء، في مقابل خطوط حادة في الأعلام والعناصر النضالية التي ترمز إلى الصراع والمقاومة، أما الألوان فقد تنوعت بين الأبيض رمز النقاء والسلام، والأحمر رمز الدم والشهادة، والأخضر رمز الخصوبة والاستمرار، مما أضفى على العمل توازنا بصريا وانسجاما شعوريا بين الأمل والألم.

تتجلى الرموز في اللوحة كعنصر أساسي في البناء الفني والمعنوي؛ فالمرأة تجسد الوطن الأم، والثوب المطرز يرمز إلى الأصالة والهوية، والحمام إلى السلام، والعلم إلى المقاومة، والأطفال والزهور إلى المستقبل والحلم. كما تظهر قبة الصخرة المطرزة فوق صدر المرأة لتؤكد قدسية القدس ومكانتها في وجدان الفلسطينيين، بهذا المزج بين اللون والتشكيل والرمز، استطاع إسماعيل شموط أن يقدم ملحمة بصرية تعبر عن ارتباط الفلسطيني بأرضه، وعن حلمه بالحرية والعودة. اللوحة ليست مجرد تصوير لقضية، بل هي نشيد وطني نابض بالأمل والكرامة والإنسانية، تجسد مقولة الفنان الخالدة: "أنا موجود إذن أنا أحلم"، كما في اللوحة رقم (2) (شموط، 2000).

لوحة رقم (2): بعنوان أحلام الغد، زيت على قماش، 200/165 سم - 2000 م

3. الفنان شهاب القواسمي[3]

تمثل اللوحة نموذجا أنموذجا فنيا متكاملا من حيث الرموز والألوان والدلالات البصرية، إنها ليست مجرد تصوير لمدينة القدس، بل هي بناء فني رمزي يجسد روحها وتاريخها ووعيها الجمعي، يجسد العمل إيمانا عميقا وتوثيقا بصريا دقيقا لتراث القدس المادي والروحي، مما يجعلها وثيقة تكوينية تعبر عن الصمود والانتماء والإرادة الحية في وجه التغيرات والتهديدات المستمرة لهوية المكان، نجح الفنان في دمج عناصر متعددة في مساحة بصرية واحدة دون أن يفقد تناغمه، يحمل كل عنصر في اللوحة وظيفة رمزية واضحة. تمثل المرأة الفلسطينية المسنة في الزاوية العلوية اليسرى الذاكرة الجماعية للمدينة؛ تثير ملامح وجهها المتجعدة تاريخا طويلا وألما وأصالة، تشكل قبة الصخرة، التي تتوسط المشهد، المحور البصري والروحي للعمل، مركزا للنور والإيمان، ورمزا للوحدة بين الإنسان والمكان، حمامة سلام تحلق أمامها، رمزا للأمل المعلق بين الحلم والواقع.

تجسد المرأة التي تغرس الغصن الأخضر استمرارية الحياة وتجذر الوجود الفلسطيني في الأرض؛ رمزا للأمومة والهوية والمستقبل الذي ينبع من أنقاض المعاناة، وتمثل الأدراج والجدران الحجرية إشارات معمارية وروحانية إلى القدس القديمة، توحي بالصمود والصعود نحو النور والإيمان، في الوقت نفسه، يربط الطبق التقليدي المزخرف والملابس المطرزة اللوحة بالبعد الثقافي الشعبي، مؤكدة على عمق الهوية الفلسطينية وتمسكها بتفاصيلها اليومية رغم تغير الأزمنة، كما استخدم الفنان تدرجات لونية مدروسة بعناية، خلقت توازنا بصريا وروحانيا في المشهد، تعكس الألوان الترابية كالبيج والذهبي دفء الأرض وعمق الانتماء، بينما يرمز اللونان الأزرق والذهبي في القبة إلى السمو الروحي والإشراق السماوي، يوحي اللون الأخضر للغصن والنبتة بالأمل والتجدد، بينما يضفي اللونان الأحمر والوردي في التطريز شعورا بالدفء والحنين والأنوثة، يخلق هذا المزيج اللوني مساحة تنبض بالحياة والإيمان في آن واحد.

تتجلى الرموز الدينية والثقافية في العمل من خلال تداخل القبة والكنيسة في مشهد واحد، في إشارة إلى التسامح والتنوع الديني الذي يميز القدس؛ المدينة التي تجمع الأديان والثقافات في مساحة واحدة، كما يتجلى حضور الزمن من خلال وجه المرأة العجوز التي تربط الماضي بالحاضر، بينما تمثل المرأة الفلاحة فعل الاستمرارية وإحياء الذاكرة من خلال الأمل والعمل، يميل أسلوب الفنان إلى الواقعية الرمزية ذات النزعة الوثائقية، معتمدا على الكولاج التشكيلي الذي يجمع الرموز المعمارية والوجوه وعناصر التراث في بنية واحدة متكاملة، يضفي التوزيع المتوازن للإضاءة الخافتة، الخالية من الظلال القاسية، على كل تفصيل حضوره الخاص دون أن يطغى على الآخر، مما يعزز وحدة العمل وتماسكه.

بهذا المعنى، ليست اللوحة مجرد تصوير للقدس، بل هي خطاب بصري للمقاومة، يستخدم اللون والرموز والشكل كأدوات للتوثيق والانتماء، جامعا بين الألم والأمل، والذاكرة والأحلام، إنها بانوراما فنية وروحية تؤكد أن الفن الفلسطيني، في جوهره، هو فعل مقاومة وجمال في آن واحد، يعيد تشكيل العلاقة بين الإنسان والمكان في أبهى صورها، لوحة إكريليك على قماش بأسلوب الكولاج كما يظهر باللوحة رقم (3)، (المصدر مقابلة الباحث مع الفنان).

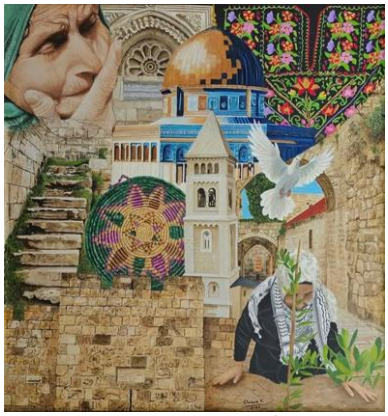

لوحة رقم (3): بعنوان من وحي القدس، ألوان اكريليك على قماش، مقاس 85/85سم، 2025

4. الفنانة تمام الأكحل[4]

(بيتي بيافا) عنوان لوحة الفنانة تمام الأكحل، لقد ركزت على الرمز في الطابع المعْماري وإبْراز أدق التفاصيل للْعناصر الفنية للْبيْت الفلسْطيني، بشكله الْعام ومحْتوياته وتصْميماته الداخلية رغْم التضْييق الذي يفْرضه الاحْتلال، والْبيْت المنْهوب الذي يحمل رائحة برْتقال يافا وبحرها وأزْهارها الذي حمْلتها الفنانة التشْكيلية تمام الأكْحل التي ولدت في يافا 1935 م، في ذاكرتها والتي جسدتها بالريشة واللوْن على لوْحاتها الفنية، ميناء يافا، وبيوتها، وحياة الطفولة، وصورتْ أيْضا المخيم وحياته الكئيبة. احْتلتْ فنانة إسْرائيلية منْزلها في يافا بعْد عام 1948 م، وعنْدما علمت تمام الأكْحل بذلك وثقت حياتها اليافوية بلوْحة بعنْوان (بيتي بيافا) عام 1988م، بيتي بيافا لوحة بالألْوان الزيْتية بأسْلوب بسيط تعْبيري واقعي بتفاصيل حياة الطفولة، صورت نفسها جالسة على حافة النافذة تطل منها، وكُتب على الْباب (شوشانا) تحتل بيتي، وهذا إعلان عام للْحضور وجمْهور المعْرض وما حل ببيْتها بعْدما نهبه المحتل وهي الفنانة (شوشانا)، كما أن الطفْلة بهدوئها ونظرها إلى البحْر واندْماجها مع المنْظر الْعام يعبر عن الهدوء والْمتْعة، إضافة إلى جمالية الحياة، -وهذا ما تحدثنا عنْه في فصول سابقة عن الصورة الذهْنية-، كما احتوت اللوْحة مجموعة من العناصر المعْمارية للْبيْت الفلسْطيني، وبرزتْ تلْك العناصر من زجاج ملون ومعشق بزخارف للنوافذ الطولية المزْدوجة والتي تصل إلى القوْس العلْوي الذي يمتد إلى طرف العقْد، وشمْسيات من الزجاج الملون نصْف دائرية بأشْكال هندسية، وأعمدة حجرية منحوتة يدويا يعلوها تيجان مزخرفة وقواعد، وبوابة وسلالم وبلاط أرضيات ملونة وجميلة، وأشْكال محفورة مثلثة تمثل المقرْنصات أو الحليات أحد العناصر المعْمارية، ومشْربيات خشبية وعقود قوْسيْه من الداخل، وقباب كروية على سقْف البيْت والْجزْء الآخر سقْف مستوٍ، واسْتخْدام القرْميد في سقْف المباني في البيْت الخلْفي، وفي الأفق الأشْجار والْخضار على التلال في يسار الصورة، إضافة إلى اسْتخْدام الحجْر في البناء، كل هذه العناصر وجدت في البيوت الفلسْطينية قبْل النكْبة، فقد جسدت اللوْحة البيْت الفلسْطيني التقْليدي قبْل عام 1948م، أيْ فترة الحكم العثْماني، وثقت اللوْحة مهارة وإتْقان المعْماري، ووثقتْ تراث البيْت التقْليدي الفلسْطيني، وقد حاولتْ زيارة بيْتها أثناء دخولها إلى فلسْطين أثناء زيارتها برفْقة زوْجها الفنان الفلسْطيني إسْماعيل شموط عام 1997 بعْد دخول السلْطة الأراضي الفلسْطينية، إلا أن الاحْتلال منع دخولْهم إلى مدينة يافا، وحاولت مرة أخرى في زيارتها مرة أخرى عام 2016، سمح لها بزيارة مدينة يافا ولكن بيْتها كان مغْلقا ولا يوجد فيه سكان ولم يسمح لها بدخوله لأنه سيتم تحويل منزلها إلى متحف. لوحة بيتي بيافا كما يظهر باللوحة رقم (4).

لوحة رقم (4): بعنْوان بيتي بيافا، للْفنانة تمام الأكْحل 1988، زيت على قماش، 70/50 سم، 1988.

5. الفنان طالب دويك[5]

ابْن مدينة القدس عاش طفولته في البلْدة القديمة، عشْق رائحتها وتمتع بجمال أزقتها، أطل على المدينة العتيقة من الأعْلى، فعاش مع الجمال المتجدد يوْميا يختلف مع حركة الشمْس وأطْوار القمر بظلالها ونورها، أحب القدس، وعرفها جيدا لأنه عاش فيها ومعها، فأعْطتْه جمالها وحبها. تتميّز أعمال الفنان طالب دويك بفرح لوني وغنائية في الخط والحركة، في محاولة واعية لمواجهة واقع الألم تحت الاحتلال عبر بثّ الأمل وتخفيف وطأة المعاناة على المتلقي. ورغم هذا التوجّه التعبيري، تظلّ مفردات الواقع الفلسطيني حاضرة بقوة في أعماله، بشكل قد يبدو أوضح من الدلالات الكامنة خلفها، كما يقدّم دويك صورة للقدس لا بوصفها توثيقاً بصرياً مباشراً، بل رؤية تعبيرية تعكس إحساسه الجمالي والوجداني، حيث يوظّف العناصر المرئية لإيصال مقولته الفنية بعيداً عن التسجيلية، في إطار ينتمي إلى الاتجاه التعبيري (سناجلة، 2024)، حتى سكنت المدينة وقبتها لوْحاته بألْوانها الصريحة الجميلة التعْبيرية الواقعية بحضاراتها وتاريخها، فقْد كانت له ملْهمة ومحفزة للإبْداع، ففي لوحته (صباح الخيْر يا قدْس) بألْوان أكْريليك على كنفْس قياس 100 × 100 سم، مع إبراز قبة الصخْرة الرمْز الإسْلامي أولى القبْلتيْن، وهي عنْوان الصراع بيْن الحق والْباطل، وأحد أهم الرموز المكانية الدينية والْوطنية، وقلْب عاصمة الدوْلة الفلسْطينية. يتفاعل الفنان مع الأحْداث التي تدور في المكان، ويواكب كل المناسبات الدينية والاجْتماعية، ويتفاعل معها بريشته وألْوانه وإبداعاته التي تنسجم مع ثقافته ومسؤْوليته اتجاه شعبه، يوثق من خلال لوحته الأحْداث وقضيته التي يعيشها بالْمكان والزمان، وترْتبط مع طفولة الماضي والْواقع الحاضر الذي نعيشه، فقْد لخصت لوْحاته كل جوانب الحياة من الزوايا التي لا تراها إلا عين فنان متمرس مدْرك للأشْياء والْحياة اليوْمية، وتوثيق وإبْراز قيمة العمارة الفلسْطينية من خلال لوْحاته الفنية، بالْعوْدة إلى لوحة صباح الخيْر يا قدْس التي عبر من خلالها عن شكْل العمارة الفلسْطينية بأسْلوب لوني زخْرفي، ظهرت المباني المتراصة المتشابهة بشكْلها الْعام المبْنية من الحجر، ووجود الشبابيك المرْتفعة، والقباب التي تعلو أسطح المنازل، والأبْواب التي يعلوها الأقْواس، والزخارف المخْتلفة على واجهات المباني، وبعْض الأسْطح المسطحة وأخرى يعلوها القرْميد، والْفتحات العليا هي عبارة عن ملطفات لعملية خروج الْهواء ودورانه، والمسْجد في الوسط تلتف حوله المباني، وجمالية الليْل عنْدما يكون القمر بدْرا يلْقي بضوْئه على المباني ليضْفي جمالا على جمال. كما يظهر باللوحة رقم (5)، (المصدر مقابلة الباحث مع الفنان).

لوحة رقم (5): بعنوان (صباح الخير يا قدس)، ألوان أكريليك على كنفس، قياس 100 × 100 سم، 2000

الخلاصة:

يتناول البحث الرمزية في الفنون البصرية الفلسطينية بوصفها أداة جمالية ومقاومة تعبّر عن الهوية الوطنية والذاكرة الجمعية، فقد أسهمت الرموز في ترسيخ الهوية الفلسطينية في الوعي الجمعي داخل الوطن والشتات، حاملةً مضامين سياسية وثقافية تعكس تجربة النكبة والنزوح واستمرار النضال من أجل الحرية والعدالة.

ويبرز الفن التشكيلي الفلسطيني كحقل بصري يوظّف الرموز التقليدية والمعاصرة؛ مثل الزيتون والمفتاح والكوفية والمرأة والبيت، لربط الماضي بالحاضر، وتأكيد استمرارية الهوية بوصفها كياناً متجدداً. فالرمز هنا يتجاوز كونه عنصراً جمالياً ليغدو وسيلة تعبيرية عميقة تجسّد المعاناة والرفض والمقاومة، وتمنح العمل الفني أبعاداً فكرية وثقافية تتجاوز ظاهره البصري.

ومن ثمّ، يؤكد البحث أن الرمزية في الفن الفلسطيني تمثّل خطاباً بصرياً متكاملاً يوثّق التجربة الإنسانية للشعب الفلسطيني، ويعزّز حضوره الثقافي والنضالي في مواجهة تحديات الواقع، بما يجعل الفن أداة فاعلة في حفظ الذاكرة وصياغة الوعي الجمعي.

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

1. أثبتت النتائج أن الرموز البصرية تشكّل عنصراً بنيوياً أساسياً في الفن التشكيلي الفلسطيني، حيث تُستخدم بوصفها لغة تعبيرية واعية تحمل مضامين وطنية وثقافية، وتُسهم بشكل مباشر في ترسيخ الهوية الفلسطينية وتعزيز الانتماء الجمعي.
2. أظهر البحث أن الفنان الفلسطيني يوظّف الرموز التراثية والوطنية (كالأرض، والمفتاح، والمرأة، والكوفية، والزيتون) بوصفها شفرات بصرية تعبّر عن النضال، والمعاناة، والتمسك بالحق التاريخي، مما يمنح العمل الفني بعداً سياسياً وثقافياً دون الوقوع في المباشرة الخطابية.
3. بيّنت النتائج أن اللون يُستخدم بطريقة رمزية مقصودة، حيث يحمل دلالات نفسية ووطنية (كألوان العلم الفلسطيني، وألوان الأرض والدم)، ويُسهم في تعميق المعنى الرمزي وتعزيز الرسالة البصرية للعمل الفني.
4. أوضح البحث أن الفن التشكيلي الفلسطيني يلعب دوراً محورياً في حفظ الذاكرة الجماعية، إذ تُخلّد الرموز البصرية أحداثًا مفصلية في التاريخ الفلسطيني، مثل النكبة والتهجير والمقاومة، وتحوّلها إلى صور ذهنية راسخة في الوعي الجمعي.
5. كشفت النتائج عن وجود تكامل واعٍ بين الرموز التقليدية والمعاصرة، حيث يعيد الفنانون الفلسطينيون صياغة الرموز التراثية ضمن رؤى تشكيلية حديثة، بما يُسهم في تقديم تصور معاصر للهوية الفلسطينية دون الانفصال عن جذورها التاريخية.
6. خلص البحث إلى أن توظيف الرموز لا يقتصر على البعد الجمالي، بل يتجاوز ذلك ليؤدي وظيفة ثقافية ونضالية، تجعل من العمل الفني أداة مقاومة بصرية تسهم في مواجهة محاولات الطمس والتشويه الثقافي.

التوصيات:

1. يوصي الباحث الباحثين في مجال الفن التشكيلي والدراسات الثقافية بتوسيع نطاق البحث في تحولات الرموز البصرية في الفن الفلسطيني المعاصر، من خلال تتبّع تطورها الدلالي بين التقليدي والمعاصر، وتحليل أثر السياقات السياسية والاجتماعية في إعادة إنتاج معانيها.
2. يشجع الباحث على إجراء دراسات مقارنة بين الرموز المستخدمة في الفن الفلسطيني وفنون شعوب أخرى خاضعة لتجارب استعمارية أو صراعية، بما يسهم في فهم الخصوصية الرمزية الفلسطينية ضمن إطار فني وإنساني أوسع.
3. يوصي الباحث بإجراء أبحاث مستقبلية تعتمد مقاربات نقدية متعددة التخصصات (سيميائية، وإنثروبولوجية، وسوسيولوجية) لدراسة العلاقة بين الرمز الفني وتشكيل الهوية الوطنية والثقافية الفلسطينية في ظل التحولات المعاصرة.
4. يدعو الباحث الباحثين إلى الاهتمام بتحليل تلقي المتلقي المحلي والعالمي للرموز الفلسطينية في الأعمال الفنية، ودراسة الفجوة الدلالية المحتملة بين قصد الفنان وفهم الجمهور، وأثر ذلك في نقل الخطاب الثقافي والوطني.

الهوامش:

[1] الفنان سليمان منصور (مواليد بيرزيت، رام الله عام 1947) هو فنان تشكيلي ونحات فلسطيني، وهو صاحب اللوحة المشهورة «جمل المحامل.«

[2] إسماعيل شموط (1930 - 2006) فنان تشكيلي فلسطيني يعتبر أحد أبرز رواد الفن التشكيلي الفلسطيني، ولد إسماعيل شموط عام 1930 في مدينة اللد وتوفي 2006 في ألمانيا.

[3] الفنان شهاب القواسمي ولد عام 1959 في البلدة القديمة بالقدس، ويُلقب مؤرخ القدس البصري، هو فنانٌ تشكيلي فلسطيني مهتمٌ بتوثيق مدينة القدس ومعالمها الثقافية والدينية، مقابل الفنان شهاب القواسمي في بلدية رام الله بتاريخ: 2025/10/8.

[4] الفنانة تمام الأكحل فنانة تشكيلية فلسطينية ولدت في مدينة يافا - فلسطين 1935، وحصلت على شهادة الفنون الجميلة وشهادة إجازة تدريس الفن من المعهد العالي لمعلمات الفنون بالقاهرة 1957 في القاهرة.

[5] الفنان طالب دويك فنان تشكيلي فلسطيني (مواليد القدس عام 1952). حصل على بكالوريوس تربية فنية (القاهرة) عام 1977. أقام عدّة معارض شخصية وجماعية، مقابلة مع الفنان طالب دويك في مقر وزارة الثقافة في رام الله بتاريخ: 2025/10/20.

قائمة المصادر والمراجع: **References & Source**

1. البسيوني، م. (1994). *أسرار الفن التشكيلي*، ط 2، عالم الكتب، بيروت – لبنان.
2. بهنسي، ع. (1997). *الفن العربي بين الهوية والتبعية*، دار الكتاب العربي، سوريا.
3. جمعة، خ. (2018). *الأبعاد الرمزية للسجن في الفن التشكيلي المعاصر*، مجموعة من الأبحاث والدراسات، هيئة شؤون الأسرى والمحررين، فلسطين.
4. حيدر، ع. (2005). *علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية*، مكتبة الآداب، القاهرة.
5. زوارغي، ج، وبنعمر، ع. (2019). الهوية في الفن التشكيلي الجزائري (محمد راسم أنموذجا)، *مجلة دراسات فنية*، المجلد (4)، العدد (2)، جامعة وهران، الجزائر.
6. ساجت، ط. (2022). توظيف الأسلبة وفاعلية الرمز في أداء الممثل المسرحي العراقي، *المجلــة الأردنية للفنــون*، مجلد (15)، عدد (2)، ص. 475 – 48، الأردن.
7. سناجلة، أ. (2024). سيادة المبررات الجمالية المرئية على الوظيفة التعبيرية في العمل الفني، *المجلــة الأردنية للفنــون*، مجلد (17)، عدد (1)، ص. 31-46، الأردن.
8. شموط، أ، والأكحل، ت. (2000). *جداريات السيرة والمسيرة الفلسطينية*، الإقبال للطباعة والنشر، عمان.
9. صالحي، ن، وهيمه، ع. (2018). المقاومة الثقافية من منظور الناقد عبد الله ركيبي، *مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب*، العدد (5)، ص. 71-80. جامعة محمد بوضياف-الجزائر.
10. عبد الحي، ج. (2018). الفنون البصرية ودورها في الحفاظ على الثقافة والهوية، *مجلة العمارة والفنون*، المجلد (3)، العدد (12) – الجزء الثاني، ص74-65. مصر.
11. عبد الرحمن، ع. (1994). *سحر الرمز، مختارات في الرمزية والاسطورة والعنوان*، دار الحور للنشر والتوزيع، سوريا.
12. علوش، س. (1985). *معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة*، دار الكتاب اللبناني، ط1، الدار البيضاء.
13. المالكي، م وآخرون. (2015). *قضية فلسطين ومستقبل المشروع الوطني الفلسطيني*، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر.
14. مناصرة، ع. (1975). *الفن التشكيلي الفلسطيني المعاصر*، الإعلام الموحد، (م.ت.ف)، بيروت.
15. منصور، ص. (1985). الرمزية في الفن الحديث، *مجلة عالم الفكر*، مجلد (16)، عدد (3)، وزارة الاعلام، الكويت.

16. منصور، ع. (2023). دور المنجز الفني في توثيق وتدوين التراث الثقافي غير المادي التونسي من خلال دراسة لأعمال تشكيلية حديثة ومعاصرة، *المجلــة الأردنية للفنــون*، مجلد (16)، عدد (4)، ص.487-509، الأردن.
17. نصر، ع. (2024). دور الفن البصري في تجسيد الهوية الثقافية الفلسطينية، *مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع*، العدد (105)، الإمارات.
18. نوبي، ن. (2024). *الأبعاد الفكرية للفلسفة الرمزية وجماليات الرمز*، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، المجلد (9)، العدد (46)، جامعة حلوان، مصر.

المراجع الأجنبية:

19. Balata, K. (2009). *Palestinian Art: From 1850 to the Present*. Saqi Books.
20. Zoghi, N. and others. (2020). *Art Under the Gun: The Role of Symbols Especially the Key in Contemporary Palestinian Art*.